

ازدهار اللغة العربية - من منظور الوعي الإسلامي

بقلم الأستاذ عبد الحليم عباس

المستشار الثقافي لوزارة الثقافة
والاعلام (الاردن)

ثم في بساطة تعاليمه ، « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله » .

4 - نعم ، لاحظ ، ان الوعي الاسلامي ، والوازع الديني يقويان ويضعفان لما يعتري اللغة العربية ، من قوة او ضعف .

5 - ليس لي الاطلاع الكافي على مدى تأثير الفكر الاسلامي ، في اللهجات الاقليمية للاقطار غير العربية

6 - المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية في بلدي ، والتي تحتلها فعلا ، هي المكانة المثلى ، بالنسبة لغيرها من اللغات .

1 - لا اجد تلازما بين انتشار الدين الاسلامي ، وانتشار اللغة العربية ، الا على مدى ضيق ومحدود ، فالاقطار - غير العربية - التي دانت بالاسلام ، حافظت على لغاتها ، كما في فارس وتركيا مثلا .

2 - اذا كنت من الفريق الذي يناصر الرأي القائل بوجود علاقة سببية بين انتشار الاسلام واللغة العربية ، فاني ارى ذلك كما قلت في الجواب على السؤال الاول ، ان هذا الانتشار على مدى ضيق .

3 - والسبب في ذلك يعود الى ان معجزة القرآن الكريم ، عند الامم - غير العربية - التي تدين به ، هي لهذه القيم الرفيعة التي يدعو اليها ، وهذه الاخوة الانسانية الصادقة التي اعلى من شأنها ،

وانه مهما سار الاسلام غزمانه اللغة ، او القرآن فهو ابو اللغة وأما ، فلا أرى رأيا او وجها يفصل القرآن الذي هو الاسلام عن اللغة لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذي عوج » والمراد بالعوج هنا لغة غير العرب ، حتى اذا ترجم القرآن الى اي لغة ، فقد ذهب جماله وبهاؤه ورواؤه ، فضلا عن اعجازه وعظمته ، وعلوه ورفعته ، وانه فوق تناول الخلق جميعا ، من أن يأتوا ولو بسورة من مثله .

والامر بين الاسلام الذي هو القرآن وبين اللغة العربية اعظم وأعلى بل واشد وأقوى من أن تكون له علاقة سببية ، فهما كالجسم والروح لايفترقان أبدا ولا غنى لاحد منهما عن الآخر وقد قضت مشيئة المولى الكبير أن يكون الامر كذلك .

وأما تلك الخيرة فالإيقاع عدم ذكرها ، لان فضل الاسلام على اللغة لا فضل اللغة على الاسلام .

هذا وكلما قوي الاسلام وانتشر ، انتشرت لغة الاسلام معه وقويت ، فانظر الى المواقع التي دخلها الاسلام من بلاد العرب الى أوائل الصين في زمن الحجاج مع بني أمية . فمقتيبة سار في المشرق حتى بلغ الصين يفتح وينشر الاسلام . ومحمد بن القاسم كذلك في بلاد الهند والهند . وموسى بن نصير سار قبل مغرب الشمس لم يدع مدينة الا فتحها ونشر العلم والاسلام فيها ، فكانت اللغة العربية في ذاك العهد الزاهر هي لغة العلم والدين والقرآن ، حتى كادت البشرية التي دخلت تحت راية الاسلام تترك لغاتها الاصلية الموروثة للغة الفصحى لغة اعظم كتاب دانت له البشرية « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد » .

فكنت في ذلك العصر كما أجمع المؤرخون على ذلك لاندخل مسجدا في دنيا الاسلام الا ورايت عدة حلقات

للعلم وقراءة القرآن وسائر العلوم التي لها المام بلغة العرب والقرآن ولا مدرسة الا وجدتها كذلك ، حتى ولا بيتا الا وفيه من يحفظ دينه بحفظ القرآن . فلو كان يلهج بها أكثر سكان المعمورة لاجل القرآن الذي نزل بها . لاشك ان قوة القرآن قوتها ، وضعفه ضعفها . وهذا ليس في الزمن القديم فقط بل هو ممتد الى يومنا هذا .

فما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي من طريق لغة القرآن في اللهجات ؟

ان القرآن الكريم الذي نقرأه في سائر بلاد الاسلام ، هو مصحف عثمان الامام المكتوب بلسان قريش ولهجتها من دون سائر العرب لان العرب أجمعوا حين جمع القرآن أن يكتب ويحفظ بلسان قريش . لانه عليهم نزل وفي دارهم استقر ولهجتهم ثبت ، وبقي الى يومنا هذا في سائر بلاد الاسلام كما كان واستقر ، ولذلك تجد جميع لهجات المتعلمين في سائر بلاد الاسلام واحدة . ولو أتبلت الناس على العلم لما رأيت لهجة للعرب ولا في بلاد العرب الا لهجة قريش الفصحى . لان القرآن قرئ بها وكل العلوم تبع للقرآن . ولا عبرة بلهجات العامة ، فتلك لا معول عليها .

أما أهل العلم والمعرفة فلا تؤثر فيهم اللهجة العامة ويطرفون عن أن يضعوا في كتبهم شيئا منها لانحرافها وعدم ثباتها . ثم ان اللغة العربية ليست في بلد من بلاد العرب أقوى منها في بلد آخر . بل البلاء واحد ، والساء واحد .

ولقد تداعت أهم الانرج من كل ناحية من نواحي حياتنا الدينية أو الدنيوية فأفسدت او أضعفت كل شيء تالدا أو طريفا ومن جملة ما أضعفت ديننا ولغتنا . فوضعت بدل اللغة الموروثة العربية لغة الاجانب ، وبدل الدين واليقين ، الشك والتشكيك .